وقد حدثنا الدكتور طه وهو يدعم فكرة السذاجة أو القصص الساذج اليسير عن الشاعر القديم لايرى شيئا إلا حققه وتصوره ، وأمعن فى تحقيقه وتصوره .

فى هذا التحقيق المستمر يتتابع الشعور حرا سمحا لاتستغبده فكرة سابقة أو غرض مقرر ، صور لنا لبيد نفسا تأخذ كل شىء ولاتهاب الفقد والعوائق . وكان هذا كله فى رأى الدكتور طه حلما فوق الواقع والمادة أو حلم « الغناء » والتبشير . ومن خلال لغة الدكتور طه وسياقه نفطن الى أن الشاعر آثر النهار على الليل ، وآثر الأكام والتلال على الوديان والقيعان ، وآثر الأردية والثياب على العرى والانكشاف القاسى ، وآثر الصحراء على الدروب السهلة المستقيمة التى تعود بك دون مشقة الى نفسك التى تواجهك . ومن خلال ترجمة الدكتور طه استبان لنا هذا العالم الطبيعى الواضح المزدهر المترفع الذى هو أكبر من الحنين الشخصى الى محب بعينه ، وأكبر من كل هم قد يخطر لنا على البال .

كيف صور لبيد إباء الضيم . لقد صوره من خلال الصحراء والنهار ، والآكام والتلال ، والسراب والثياب ، والسحاب والأتان والبقرة جميعا ، أسرة واحدة متجانسة لايذكر فيها الضيم والإباء . ولاتثقل عليك العبارة الغليظة ، فالقصص الساذج اليسير أولى وأهم .

ومن خلال النهار والضحى والآكام بدت فكرة الحمام التى يمر بها الشاعر عجلا لايحققها ، بدت عرضا يسيرا ، فليس بين نفس الشاعر ونفوس أعدائه فرق ، وليس فى انتصاف النهار وأردية الصحراء وتلالها وآكامها مايدعو إلى الشعور بالبؤس .

من خلال الترجمة الأدبية بدا حنين لبيد أسمى من البكاء على عالم مفقود وزمن ضائع . هذا الفقد الذى أهم كثيرا من قراء الشعر القديم ، وكان الدكتور طه فيما يظهر يؤمن بأن الشعر القديم معرض لسوء الفهم ، معرض لشهوة إقحام بعض الاتجاهات والميول التى أخذت من هنا أو هناك .

(٨)

ما أكبر الفرق بين قراءة الدكتور طه وقراءات أخرى كثيرة أضفت على الشعر القديم بؤسا حديثا ، ويستطيع المرء أن يوازن موازنات طويلة فى هذا الباب ، وقد يكون من الملائم هنا أن أشير إلى هذين البيتين المشهورين من قول طرفة :